آداب الحوار في القصص القرآني

(سورة هود ﷺ أنموذجا)

إعداد الباحثة:

الدكتورة/ عفاف بنت عطية الله ضيف الله المعبدي

الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية في جامعة أم القرى

Dr. Afaf Atiyatallah d Al-moabadi

ملخص البحث:

يروم هذا البحث إلى استنباط آداب الحوار من القصص القرآني في سورة هود ﷺ؛ والتي تجعل الحوار حوارا مثمرا، كما أنه يستجلي دور القرآن في ضبط الحوار وتوجيهه ووضع الأسس الصحيحة له؛ ويبين أن الأنبياء هم القدوة الحسنة لكل محاور أراد النجاح لحواراته.
ومن أبرز نتائج البحث:

١– أهمية الحوار وآدابه في ضوء القصص القرآني وفي رحاب سورة هود حيث يبقى الحوار عذبا رقيقا بعيدا عن الفوضى والمهاترات ؛فيكون أقرب لتحقيق أهدافه المنشودة.

٢– التأصيل لمنهج الحوار والرجوع به إلى آدابه الأصيلة حتى يؤتي ثماره ويؤدي دورَه سيَّما في هذا العصر الذي تشتدُّ فيه الحاجة إلى حوار جاد صريح يستوعب جميع القضايا.

٣– من أبرز آداب الحوار الأساسية المستنبطة من القصص القرآني في سورة هود والتي تندرج تحتها كثير من الآداب الفرعية: الإخلاص لله تعالى، والاستقامة على المنهج، وأهلية المحاور بالعلم، والتلطف والرحمة والرفق، والوضوح، وحسن الاستماع والإنصات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحثة

Ethics of Dialogue in Quranic Stories (Surah Hud, peace be upon him, as models)

Abstract:

This research aims to extract the ethics of the dialogue from the Quranic stories in Surah Houd (Peace be upon him), which makes the dialogue fruitful. Also it clarifies the role of the Qur›an in controlling and guiding dialogue and setting the correct bases for it. It shows that the prophets are the good example of every interviewer wants success of his dialogues. Of the most important findings of the research, as follows:

1. The importance of dialogue and its ethics in the light of Quranic stories in the recitation of Surah Houd; where the dialogue keeps gentle and pleasant, away from chaos and altercation to be closer to achieve its desired goals.

2. Rooting the method of dialogue and referring to the authentic ethics to produce its fruit and play its role, especially in this era, in which the need for serious and frank dialogue accommodating all issues is desirable.

3. One of the most prominent basic ethics of the dialogue extracting from the Quranic stories in Surah Houd, under which there are many sub-ethics: devotion to Allah, uprightness on Sharia, knowledge eligibility of the interviewer, gentleness, compassion, kindness, clarity, good listening.

Researcher:

Praise be to Allah, the Lord of the Worlds.

المقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الله تعالى شرَّف هذه الأمة ومَنَّ عليها بمحمد ﷺ ليتلوا عليهم القرآن ويعلمهم إياه مستنقذا لهم من الضلال إلى الهدى، فقال عز شأنه: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وما بعث النبي محمد ﷺ بمهمته تلك إلّا دليل بيّن على أن تعليم القرآن يمثل الركيزة الأهم في التعليم بما يحويه من مضامين تحقق الشمول والوسطية والتوازن وبما يحويه أيضا من أساليب حكيمة وناجعة أسهمت مع المضامين في إيجاد نموذج فريد كان عنصر وعي ونهضة وبناء في شتى مناحي الحياة؛ وإن من أهم تلك الأساليب أسلوب الحوار؛ فهو من الطرق التي يتضح فيها بجلاء التفاعل الإيجابي بين طرفين أو أكثر حول موضوع أو قضية معينة، بهدف الوصول إلى الحقيقة، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر بعيداً عن الخصومة أو التعصب، ولكن بطريقة إقناعية هادئة(١).

وعليه فالحوار والمناقشة شكل من أشكال تلاقح العقول؛ مما لابدّ معه أن ينتج أفكاراً جديدة، ويقدم معلومات كانت غائبة عن بعض أطراف الحوار، ويغرس ما يريد غرسه من مبادئ وقيم، أو يصحح مفاهيم خاطئة، أو يقتلع باطلاً دون كبير عناء ودون أن يشعر الطرف الآخر أنها مفروضة عليه ودون أن يجد صعوبة في تلقيها والاقتناع بها.

ولكل ما سبق نجد أن القرآن الكريم لم يغفل الحوار كأسلوب في الدعوة والتعليم للوصول إلى الحق ونزع ما سواه من النفس؛ حيث نجده حافلاً بصور كثيرة من الحوارات المتعددة الأهداف والأطراف والأشكال. غير أن هذا الحوار لن يؤتي أكله ما لم يلتزم فيه المحاورون بآدابه التي تجعل للحوار قيمته العلمية وبانعدامها تقل الفائدة المرجوة منه؛ حيث تنتهي بعض الحوارات قبل أن تبدأ، وقد تطول مدة الحوار دون أن يصل المتحاورون إلى النتيجة المطلوبة.

ومن هنا فلا بدّ من التزام حوار جيد قائم على آداب مرعية، وهي آداب متنوعة منها: ما يكون قبل الحوار، ومنها ما يلازمه، ومنها ما يأتي بعده؛ وإني في هذا البحث أريد أن أسلط

الضوء على هذه الآداب في القصص القرآني متخذة من سورة هود ﷺ أنموذجا؛ وإنما تم اختيار هذه السورة لكونها من أولها إلى آخرها قصصا قرآنيا عن الأنبياء ﷺ من نوح إلى محمد ﷺ مرورا بهود وصالح وإبراهيم وشعيب وغيرهم ﷺ.

و لقد دفعني للكتابة في هذا الموضوع أسباب أخرى غير ما ذكر؛ منها:

١- كثرة استعمال أسلوب الحوار في عصرنا الحاضر وانتشاره؛ بسبب ما استجد من وسائل الاتصال؛ مما يجب معه تعريف الأطراف بالآداب التي تجعل حواراتهم نافعة لهم ولمجتمعهم.

٢- افتقار المجتمع لأسلوب الحوار المثمر؛ إذ سرعان ما يتحول حوارهم إلى مرآء، فيه الخصومة ومحاولة فرض وجهة نظر كل طرف على الآخر دون تحري الحق والصواب، ومن أجل التغلب على هذه المشاكل لا بد من معرفة وإدراك آداب الحوار للوصول إلى قرارات صائبة تحقق النفع للفرد والمجتمع.

٣- أن أفضل من يقدم لنا حوارا مثمرا هو القرآن بما تضمنه من قصص قرآني مشبع بالحوارات المختلفة خصوصا ما قصه عن أنبياء الله تعالى وعن تفاصيل حواراتهم مع أقوامهم في كثير من سور القرآن ومنها سورة هود ﷺ.

فلكل ما سبق أردت أن أسهم بقلمي في الكتابة في هذا الموضوع راجية أن أحقق به الأهداف التالية:

١- إبراز إعجاز القرآن من جهة قصصه وما تضمنته من أساليب تربوية تعليمية دعوية خصوصا أسلوب الحوار.

٢- التعريف بآداب الحوار الشرعية التي تضمن للمتحاورين حوارا نافعا مثمرا صلاحا لهم ولأمتهم.

٣- اتخاذ أنبياء الله ورسله ﷺ قدوة لكل متحاور في التزامهم بآداب الحوار.

٤- الاسترشاد بهدايات القرآن في حل مشكلة الحوار التي يواجهها الأفراد والمجتمعات من خلال تعريفهم بآدابه الشرعية.

الدراسات السابقة:

الدراسات حول آداب الحوار كثيرة سواء المطولة أو المختصرة منها، القديمة أم الحديثة، وهناك دراسات تناولت هذا الموضوع أو قريبا منه ولكن ليس من خلال القصص الوارد في سورة هود ﷺ، ومن تلك الدراسات ما يلي:

١- أسلوب أدب الحوار في القصص القرآني (دروس مستقاة لغرض التدريب)، للباحث سعيد بن جميل الندوي، بحث مقدم استكمالا لمقرر المهارات والأساليب التدريبية في القرآن الكريم والسنة النبوية، ١٤٣٧هـ، المعهد العالي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، جامعة أم القرى.

وهذه الدراسة يظهر من عنوانها تشابه كبير مع موضوع بحثي إلا أن مضمونها لم يأتي مستوعبا لكل الآداب الواردة في القصص القرآني ولم يستوعب أيضا جميع القصص بالتفصيل والإلمام بل ذكر شيئا يسيرا جدا من ذلك لا يتناسب وعموم موضوعه، هذا مع عرضه له بأسلوب تربوي في الغالب.

أما هذا البحث فهو يتناول آداب الحوار في القصص القرآني من خلال سورة محددة في القرآن الكريم هي سورة هود ﷺ المتضمنة لعدد كبير من قصص الأنبياء ﷺ، وقد تم استقصاء ما في هذا القصص من آداب الحوار مع ربط القصص جميعا أبعضها ببعض أثناء عرض تلك الآداب وتناولها بأسلوب دعوي يتناسب والمهمة التي بعث بها أولئك الأنبياء ﷺ.

٢- الحوار في قصص إبراهيم ﷺ في القرآن الكريم (دروس ودلالات)، الأستاذ الدكتور/محمد بن عبدالرحمن الشايع، بحث مقدم لمؤتمر: الحوار في الفكر الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة.

وهذا البحث واضح من عنوانه أنه يتناول الحوار في قصة واحدة هي قصة إبراهيم ﷺ أما بحثي فيركز على آداب الحوار على وجه الخصوص وليس كل ما يتعلق بالحوار كما أنه يتناول دراسة هذه الآداب من خلال جميع القصص القرآني المذكور في سورة هود ﷺ.

مشكلة البحث:

أتت هذه الدراسة جسراً مساهماً في تنزيل القصص القرآني على الواقع، والاقتداء بنهجه في معالجة المشكلات المختلفة من خلال أسلوب الحوار وما تضمنه من آداب كفيلة بجعله طريقا

للصلاح والإصلاح، وتناولت الدراسة الإجابة عن أسئلة في غاية الأهمية تتمحور حول الحوار وآدابه وكيفية معالجتها للمشكلات العقدية وغيرها باستقراء القصص القرآني في سورة هود عليه السلام.

منهجية البحث:

اعتمدت الدراسة منهج استقراء الآيات وتحليلها واستنباط أهم آداب الحوار من القصص القرآني في ضوء سورة هود عليه السلام.ومن أهم المصادر والمراجع التي اعتمدتها الدراسة: كتب التفسير التي ألفت في القديم والحديث، وكتب القصص القرآنيّ والكتب التي عنيت بالحوار.

خطة البحث:

وقد جاءت على النحو التالي:

المقدمة:

وفيها بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، وخطة البحث.

المبحث الأول:

تعريف آداب الحوار وأهميتها:

أولا: تعريف آداب الحوار.

ثانيا: أهمية آداب الحوار.

المبحث الثاني:

آداب الحوار في ضوء سورة هود عليه السلام:

أولا: إخلاص النية.

ثانيا: الاستقامة على المنهج.

ثالثا: أهلية المحاور.

رابعا: التلطف والرفق والرحمة.

خامسا: الوضوح.

سادسا: حسن الاستماع والإنصات.

الخاتمة:

وفيها أهم النتائج.

إجراءات الباحثة في البحث:

١- رجعت إلى كتاب الله مع التزامي بعزو الآيات إلى سورها وبيان أرقامها وضبطها ووضعت ذلك في أصل البحث.

٢- رجعت إلى كتب متون الأحاديث لاستخراج الأحاديث عند الحاجة وعزو تلك الأحاديث إلى مظانها فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما لم أتجاوزهما إلى غيرهما مبينة الكتاب والباب ورقم الحديث والجزء والصفحة غالباً، وإن كان في غيرهما فإنني قد أكتفي بذكر مصدرين على الأقل مع بيان حكم أهل الحديث عليه غالباً قديماً أو حديثاً أو كليهما.

٣- استعنت بكتب التفاسير مما تيسر لي بالإضافة إلى الكتب المتعلقة بالحوار أو المجادلة والمناظرة ووظفت ما وجدته فيها حسب الخطة الموضوعة.

٤- وثقت ما استفدته من كلام العلماء وآرائهم فإن كان ما استفدته منهم بنصه وضعته بين علامات التنصيص المعروفة وأحلت في الهامش إلى المصدر مباشرة، وإن كان بمعناه فقد وضعته دون علامات تنصيص، وأحلت إليه في الهامش بكلمة (انظر..).

٥- شرحت الكلمات الغريبة سواء المذكورة في متون الأحاديث أو في سياق كلام قلته أو نقلته غالباً.

٦- ترجمت للأعلام.

٧- بعد إتمام البحث أعددت له ثبت المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

هذا وحسبي أني بذلت في هذا البحث قصاري جهدي، وتوخيت فيه السداد طاقتي فإن كان ما جمعته وحررته صواباً فذلك من الله وحده وله الفضل والمنة والثناء الحسن، وإن كانت الأخرى فذلك من نفسي والشيطان، وأتوب إلى الله وأستغفره ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المبحث الأول:

تعريف آداب الحوار وأهميتها:

أولا: تعريف آداب الحوار:

تعريف الآداب:

• **لغةً**: جمع أدب؛ وهو "الظرف وحسن التناول"[٢]. قال في المصباح: "أَدَّبْته أَدَبًا، أي: عَلَّمْته رِياضة النَّفس ومحاسن الأخلاق، قال أبو زيد الأنصاري: الْأَدَب يقع على كل رياضة محمودة يَتَخَرَّجُ بها الْإنسان في فضيلة من الفضائل"[٣].

• **اصطلاحا**: "الأدب: "مَلَكَةٌ تَعْصِمُ مَنْ قامت به عمَّا يَشِينُه، وهو: استعمال ما يُحْمَدُ قولاً وفعلا"[٤]. وقيل هو: "عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ"[٥]. قال بعض العلماء: "الأدب وسيلة إلى كل فضيلة، وذريعَةٌ إلى كلّ شريعة"[٦].

تعريف الحوار:

• **لغة**: مأخوذ من حاور يحاور محاورة وتحاورا وحَورا، و"الحَوْرُ: الرُّجوع عن الشَّيء وإِلى الشَّيء،... والمحاوَرَة: الْمُجَاوَبَةُ. والتَّحاور: التَّجاوب... وهم يتحاورون أَي يتراجعون الكلام"[٧]. وبهذه المعاني جاءت مشتقات كلمة الحوار[٨] في القرآن والسنة[٩].

• **اصطلاحا**: الحوار "محادثة بين شخصين أو فريقين، حول موضوع محدد، لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر، بعيدا عن الخصومة أو التعصب، بطريق يعتمد على العلم والعقل"[١٠].

والمتأمل في هذا التعريف يستطيع أن يلحظ التقارب بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، كما يلحظ أن الحوار ليس خصومة وتعصبا وهذا هو الأصل لكن قد تحدث تلك الخصومة فيصبح الحوار جدالا؛ فالجدال حوار مع خصومة[١١]؛ فإن كانت بحق كان جدلا محمودا وإن كانت بباطل كان جدلا مذموما[١٢]؛ وعلى ذلك "فكلمة (الحوار) أوسع مدلولا من كلمة الجدل، باعتبار تضمن الجدل معنى الصراع، بينما نجد الحوار يتسع له ولغيره؛ مما يراد منه إيضاح الفكرة بطريقة السؤال والجواب"[١٣].

كما أن هناك مرادفات أخرى للحوار غير الجدال وهي المناظرة والمناقشة؛ غير أن المناظرة تفرق عن الحوار في أنها "تعتمد على التضاد بين المتناظرين للاستدلال على إثبات أمر يتراجعان فيه نفيا وإيجابا بغية الوصول إلى الصواب"(١٤). أما المناقشة فتفرق عن الحوار في أنها: "تقوم على أساس استقصاء الحساب وتعرية الأخطاء وإحصائها"(١٥).

تعريف آداب الحوار:

هي: "مجموعة المهارات المتكاملة التي يتطلبها أداء المحاور للأنشطة التي يتضمنها الحوار بكفاءة؛ وهذه الأنشطة منها ما هو في مرحلة الإعداد للحوار، ومنها ما هو في مرحلة تنفيذ الحوار"(١٦). فهي إذن السمات والوسائل التي تقود المحاور إلى حوار مثمر عن كل فضيلة وتبعده عن كل رذيلة أو خطأ.

ثانيا: أهمية آداب الحوار:

الاختلاف بين الناس سنة إلهية نظراً لتفاوتهم في عقولهم وأفهامهم وأمزجتهم، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ [هود:١١٨]؛ ونتيجة لهذا الاختلاف في الرأي والاتجاهات جاء الشرع مؤيدا للحوار المثمر على اختلاف أنواعه ومستعملا له؛ وما ذاك إلا لأن الحوار "سبيل الإقناع، ومفتاح القلوب، وأسلوب التواصل والتفاهم، ووسيلة التعارف والتآلف، ومنهج الدعوة والإصلاح، ومسلك التربية والتعليم، ومجمَعُ التقارب والالتقاء، وسَنَنُ الأنبياءِ عليهم السلام مع أقوامهم لإقامة الحجج ودفع الشُّبه"(١٧).

ومن ناحية أخرى فإن استمرار الحوار في المجتمع وتعدد مستوياته وتنوع موضوعاته يعد علامة صحية على حيوية هذا المجتمع، واتجاهه إلى مزيد من التقدم، وتحقيق الازدهار بل إن الحوار لون من ألوان الجهاد: فقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ)(١٨). وأشار القرطبي (ت: ٦٧١ç)(١٩) إلى أهمية الحوار باعتباره وسيلة للتفريق بين الحق والباطل عن طريق استخدام الحجج والبراهين وإفحام الخصم؛ فقال بعد أن ذكر عددا من الآيات المتعلقة بالمحاجة والمجادلة: "فهو كله تعليم من الله عز وجل السؤال والجواب والمجادلة في الدين، لأنه لا يظهر الفرق بين الحق والباطل إلا بظهور حجة الحق ورفض حجة الباطل"(٢٠).

والقرآن في عنايته بالحوار لم يقصره على كونه وسيلة للتصدي للمخالفين بل هو عنده أسلوب كذلك للتربية والتهذيب وغرس القيم من خلال القصص المتعدد والحوارات التي تضمنها

ذلك القصص؛ كالحوار بين موسى وأخيه هارون، والحوار بين إبراهيم وابنه إسماعيل وغيرها من الحوارات الهادفة. ولا نتعجب من هذه العناية القرآنية بالحوار؛ فإنه الطريق الأمثل للإقناع العقلي الذي هو أساس الإيمان بأي دين أو مذهب[٢١].

غير أن هذا الحوار لن يؤتي أكله ما لم يلتزم فيه المحاورون بآدابه التي تجعل للحوار قيمته العلمية وبانعدامها تقل الفائدة المرجوة منه؛ حيث تنتهي بعض الحوارات قبل أن تبدأ، وقد تطول مدة الحوار دون أن يصل المتحاورون إلى النتيجة المطلوبة.

و"حتى نميز الحوار عن الجدل المذموم أو المراء البعيد عن نشدان الحقيقة، وحتى لا يتحول المراء إلى مشاحنات أنانية ومشاغبات ومغالطات ونحو ذلك مما يفسد القلوب ويهيج النفوس ويورث التعصب ولا يوصل للحق"[٢٢]، وحتى لا يصبح الأمر انتصارا وإعجابا لكل ذي رأي برأيه، كان ولا بد من الوقوف على آداب الحوار الهادف من معينه الحق القرآن الكريم من خلال قصصه وما تضمنته من حوارات متنوعة؛ بلوغا إلى الصواب.

المبحث الثاني:

آداب الحوار في ضوء سورة هود عليه السلام:

إن طريقنا الأول في معرفة آداب الحوار التي تضمن للمحاور أن يكون حواره مثمرا هو كتاب الله، الذي احتوى حوارات شتى لعل أهمها الحوار القصصي بين الأنبياء وأممهم، حيث تميزت تلك الحوارات بالتزام أنبياء الله تعالى بآداب الحوار من جانبهم وإن خالف الأقوام تلك الآداب؛ وما ذاك إلا استجابة للمنهج الدعوي الذي وضعه الله تعالى لكل نبي وداعية؛ ومنهم محمد ﷺ بقوله: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥].

ولقد حفلت سورة هود عليه السلام بحظ وافر من هذا الحوار القصصي بين الأنبياء وأممهم، مما جعلها مناطا للدراسة بهدف معرفة واستنباط آداب الحوار في القصص القرآني سواء كان ذلك قبل بدء الحوار أو في أثنائه أو بعده؛ ومن هذه الآداب:

أولا: إخلاص النية:

ويعنى أن "يفعل المكلف الطاعة خالصة لله وحده، لا يريد بها تعظيماً من الناس ولا

توقيراً، ولا جلب نفع ديني، ولا دفع ضرر دنيوي"[٢٣]، والإخلاص هو الأساسُ الذي بُنيت عليه دعوة الأنبياء، حيث قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥]، "فأصل دين الأنبياء واحد وهو الإخلاص في العبادة لله[٢٤]".

وإذا كان الإخلاص مطلوبا من كل داخل في دين الله فإنه بلا شك مطلوب أولا من أنبياء الله الذين جاءوا لأقوامهم بالأمر به، وإذا كان أيضا شرط قبول أي عمل هو الإخلاص فإن أولى ما يحقق فيه ذلك هو الدعوة إلى الله تعالى. وعليه فإن أنبياء الله عليهم السلام كانوا المثل الأعلى في إخلاصهم لله تعالى عند قيامهم بمهمة الدعوة إليه؛ إذ ابتدأوا حواراتهم مع أقوامهم بإعلان هذه الحقيقة جلية لهم؛ وهذا الإعلان ظهر فيما يلي:

١- في مضمون دعوات الأنبياء: فإن موضوع الدعوة الأساس لكل نبي منهم هو الدعوة إلى عبادة الله وحده دون شريك؛ ومن كان هذا هو مضمون دعوته كان ولا بد أن يكون هو مخلصا لله في دعوته وفي حواراته وفي أمره كله؛ فسورة هود تبدأ بذكر دعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم قومه إلى إخلاص العبادة؛ حيث قال لهم: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [هود]. ثم ساق الله ما يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس وحده من جاء بهذه الدعوة لقد سبقه غيره من الأنبياء عليهم السلام. فها هو نوح عليه السلام يرسله ربه ليدعو قومه إلى تحقيق الإخلاص في عبوديته: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ [هود]. وبذات الدعوة التي جاء بها نوح جاء هود عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود:٥٠].

ونرى هذه الوحدة ظاهرة بين الأنبياء في موضوع رسالتهم عند استعراض بقية الدعوات؛ فها هو صالح عليه السلام يأتي بذات المقولة التي أتى بها هود عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾[هود:٦١]، وشعيب عليه السلام على ذات القول: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ [هود:٨٤]. وإننا في هذه الآيات نلمس بوضوح

الإعجاز البياني القرآني في حكايته للقصص؛ "فهذه المقاربة في ألفاظ التعبير عن المعنى الرئيسي الواحد مقصودة في السياق لتقرير وحدة الرسالة ووحدة العقيدة، حتى لتتوحد ألفاظ التعبير عن معانيها"(٢٥).

٢- تظهر أيضا في الإعلان الصريح من الأنبياء: بأنهم لا يريدون بدعوتهم سوى وجه الله تعالى؛ أما عرض الدنيا فليس مطمعا لهم ولا غاية؛ فها هو نوح عليه السلام يصرح للملأ(٢٦) من قومه أن أجر دعوته من الله لا منهم؛ ولذلك هو لن يخص بها الأغنياء دون الفقراء كما يريدون(٢٧): ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۚ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود:٢٩]، ويبادر هود عليه السلام قومه بالإعلان بأنها دعوة خالصة، فليس له من ورائها هدف فيقول: ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [هود:٥١]، والمعنى: "يا قوم لا أسألكم على ما أدعوكم إليه من إخلاص العبادة لله وخلع الأوثان والبراءة منها، جزاءً وثوابًا إن ثوابي وجزائي على نصيحتي لكم، ودعائكم إلى الله إلا على الذي خلقني أفلا تعقلون أني لو كنت ابتغي بدعايتكم إلى الله غير النصيحة لكم، وطلب الحظ لكم في الدنيا والآخرة، لالتمست منكم على ذلك بعض أعراض الدنيا، وطلبت منكم الأجر والثواب؟" (٢٨). وعلى ذات المنهج سار جميع الأنبياء بدلالة ذكر هذه المقولة عنهم في سور عدة في القرآن(٢٩). قال صاحب محاسن التأويل (ت:١٣٣٢هـ): "إنما خاطب كل رسول به قومه، إزاحة للتهمة، وتمحيصا للنصيحة، فإنها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع"(٣٠). كما أمروا من حاوروهم بالتجرد والإخلاص في حواراتهم يظهر ذلك جليا في قوله تعالى على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ ۖ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ:٤٦]. قال ابن كثير (ت:٧٧٤ ç) (٣١): "يقول إِنَّمَا أطلب منكُم أَنْ تَقُومُوا للَّه قِيَامًا خالصًا لِلَّه، ليس فيه تَعَصُّبٌ ولا عِناد، مجتمعين ومتفرقِين ثم تتفكروا في هذا الَّذِي جاءكم بالرِّسالة من اللَّه: أَبِهِ جُنُونٌ أَمْ لَا؟ فإِنَّكُمْ إذا فعلتم ذلِك، بَانَ لكم وظهر أَنَّهُ رسول الله حقًّا وصدقًا" (٣٢).

فعلى المحاور أن يتأسى بأنبياء الله عليهم السلام؛ فيُقبل على الحوار بنية خالصةٍ كما أقبلوا؛ ويرتقب الأجر من الله تعالى كما ارتقبوا، ويتجرد في دعوته ومحاوراته من حظوظ الدنيا كما تجردوا؛ همّه الهداية للغير ونشر دعوةِ الخير كما كان همهم، يقول ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ)(٣٣) : "لا بد من حسن النية، فلو تكلم بحق لقصد العلو في الأرض أو الفساد كان بمنزلة الذي يقاتل حمية ورياء. وإن تكلم لأجل الله تعالى مخلصاً له الدين كان من المجاهدين في سبيل الله ومن ورثة الأنبياء

خلفاء الرسل"[٣٤].

ومن دلائل الإخلاص لله والتجرد لطلب الحق أن يفرح المحاور إذا ظهر الصواب على لسان مخالفه، كما قال الشافعي (ت: ٢٤٠هـ)[٣٥]: "مَا نَاظَرْتُ أحدًا، فَأَحْبَبْتُ أَنْ يُخْطِئَ"[٣٦].

ثانيا: الاستقامة على المنهج:

لا بد للمحاور أن يكون مستقيما على منهج الحق الذي يدعو إليه ولا يخالفه؛ فإن ذلك أدعى إلى قبول كلامه والتسليم له؛ فالأسوة من أفضل وسائل الحوار، وأقربها إلى النجاح، وأنفذها أثراً في نفوس المتحاورين؛ ذلك أن حديثا مهما يكن رائعاً ويقع من الناس موقع الإعجاب وفيه براعة وشمول، كل ذلك لا يثمر ثمرة إلاّ إذا تُرجم إلى حقيقة واقعة ملموسة مشاهدة على الأرض[٣٧]، من خلال أسوة تتمثل ما تقول، وتدعو إليه بأفعالها قبل أقوالها، حيث شاهد الحال أقوى من شاهد المقال. كما أنّ المحاور متى رأى الأسوة فيمن يحاوره فإنها تمنحه بذلك قناعة بإمكانية التطبيق لهذه الأفكار والقيم والمبادئ، وتقدم إليه الأسلوب العملي الواقعي للمبادئ والقيم والأفكار، لا مجرد أقوال وعظات.

من أجل هذا وذاك اقتضت مشيئة الله تعالى أن تكون هناك أسوة لتربية الناس وتعليمهم المنهج الإلهي، هم رسل الله تعالى وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم؛ من أولئك محمد ﷺ الذي بعثه الله تعالى ليكون أسوة للعالمين قولاً وعملاً، في حياته وبعد موته، فقال سبحانه لعباده: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١]، فوضع في شخصه الكريم "الصورة الكاملة للمنهج الإسلامي، الصورة الحية الخالدة على مدار التاريخ"[٣٨] حتى غدا قرآناً يمشي على الأرض، فقد قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ: "فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن"[٣٩]. يؤكد ذلك ما قاله عمرو بن العاص –لما بعث إليه النبي ﷺ يدعوه إلى الإسلام–: "لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلاّ كان أول آخذ به، ولا ينهى عن شر إلاّ كان أول تارك له، وأنه يَغْلِبُ فلا يَبْطَر[٤٠]، ويُغْلَبُ فلا يُهْجَرُ[٤١]، وأنه يفي بالعهد، ويُنْجِزُ[٤٢] الوعد، وأشهد أنه نبي"[٤٣].

وليس النبي محمد ﷺ بدعا في ذلك؛ فهذا نبي الله شعيب عليه السلام يكشف لقومه أهمية أن يلتزم هو بما يدعو إليه قبل أن يدعوهم إليه فيقول: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ

رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨]؛ والمعنى: "وما أريد أن أنهاكم عن أمر ثم أفعلُ خلافه، بل لا أفعل إلا ما آمركم به، ولا أنتهي إلا عما أنهاكم عنه"(٤٤).

"ويفهم من هذه الآية الكريمة أن الإنسان يجب عليه أن يكون منتهياً عما ينهى عنه غيره، مؤتمراً بما يأمر به غيره. وقد بيَّن تعالى ذلك فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة:٤٤]، وَقَوْلِهِ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٣]"(٤٥).

ثالثا: أهلية المحاور:

وتقتضي: علم المحاور بالمنهج الحق وأولياته، والعلم بالواقع الذي يريد أن يطبق عليه منهج الحق، وكذا العلم بالأدلة والبراهين والسبل التي تمكنه من إيصال قوله وإقناع الآخر به، فيتمكن المحاور من إقامة الحجة اليقينية التي لا يمكن للخصم ردها ومجابهتها، ويتمكن أيضا من الرّد على ما يثار من شبهات ودفع الفاسد من القول والرأي؛ فتظهر بذلك قوة المحاور والموضوع الذي يحاور من أجله، ويكون للحوار ثمرته. ومن هنا فإن الله تعالى حينما اصطفى الرسل والأنبياء ﷻ لتبليغ دينه آتاهم حُكما وعِلما يمكّنهم من القيام بمهامهم والحوارات مع أقوامهم، يقول الله تعالى في شأن داوود وسليمان ﷻ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل:١٥]، وعن لوط ﷺ يقول سبحانه: ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾ [الأنبياء:٧٤]، ويمن الله تعالى على يوسف ﷺ بالعلم والحكمة جزاء لإحسانه فيقول: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:٢٢]، وها هو موسى ﷺ يذكر فضل الله عليه حين آتاه العلم واصطفاه للرسالة فيقول: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:٢١]، وقد ذكر إبراهيم ﷺ في محاجَّته لأبيه ما آتاه الله إياه من العلم وقرر أنّ مَن معه العلم الحق هو الأحق بالاتباع حين قال: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مريم:٤٣]، قال السعدي (ت:١٣٧٦ﻫ)(٤٦): "وفي هذا من لطف الخطاب ولينه، ما لا يخفى، فإنه لم يقل: "يا أبت أنا عالم، وأنت جاهل" أو "ليس عندك من العلم شيء" وإنما أتى بصيغة تقتضي أن عندي وعندك علما، وأن الذي وصل إلي لم يصل إليك ولم يأتك، فينبغي لك أن تتبع الحجة وتنقاد لها"(٤٧)؛

فهو إذن قال ذلك "لا ليفخر بذلك أو يتعالى على أبيه حتى يكون خلقًا ذميمًا، ينفَرُ الناس من حوله، ويمقتونه من أجله، بل ادَّعى ذلك ليلفت النظر إلى وجوب الإصغاء إليه، واتباعه فيما جاء به من الحق المبين"(٤٨).

هذا العلم الذي أوتيه الرسل عليهم السلام جميعا إنما ظهرت دلائله في حواراتهم مع أقوامهم؛ ومن ذلك:

١- اتخذ أنبياء الله التدرج سنة في حواراتهم مع أقوامهم من حيث موضوع الحوار وأدلته؛ فنجد كل نبي عليه السلام ينطلق في الحوار من الموضوع الأهم في الدعوة وهو الدعوة إلى عبودية الله تعالى ومنها بعد ذلك إلى تصحيح ما أخطأوا فيه عقيدة وسلوكا مع تقديمهم الأدلة والبراهين العقلية المؤكدة إلى ما يدعوا إليه؛ فنوح عليه السلام ذكر عنه ربه تعالى أنه أول ما قال: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود:٢٦].

وبذات الدعوة ابتدأ جميع الأنبياء أيضا؛ ففي شأن هود عليه السلام قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود: ٥٠]، وفي شأن صالح عليه السلام قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود:٦١]، وفي شأن شعيب عليه السلام قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ [هود:٨٤]، وفي شأن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۚ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود:٢].

لقد ذكر كل من هؤلاء الأنبياء لأقوامهم من دلائل ربوبية الله وأسمائه وصفاته ما يؤكد أن الله تعالى مستحق للعبادة وحده دون سواه، ثم انتقلوا من هذه الدعوة للعبودية إلى تصحيح معتقدات أقوامهم الباطلة وسلوكياتهم الخاطئة؛ فشعيب عليه السلام ينهى قومه عن البخس والظلم بتنقيص الكيل والميزان ويعلل لهم ذلك بعدم حاجتهم إليه؛ إذ أنعم الله عليهم بالأموال ورخص الأسعار فكان حق الله عليهم شكر نعمته بعدم معصيته وفي ذلك أعظم دليل منهم على عبودية الله، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم أيضا بعد أن دعا قومه إلى عبودية الله صحح لهم معتقدهم الباطل في البعث فقال لهم: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [هود:٤]، وقد استدل على إمكانية البعث بعظيم قدرة الله، وكان لازما لهم وهم المقِرّون بأسمائه وصفاته أن يؤمنوا بالبعث؛

فقدرة الله لا حدود لها، ومع ذلك أصر القوم على تكذيب البعث واعتبروا ما قاله لهم النبي ﷺ ضربا من السحر حتى بعد أن ذكر لهم دلائل قدرة الله فيما يشاهدونه وأعظم منه فيما لا يشاهدونه؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [هود:٧].

٢- ومن الدلائل أيضا على العلم الذي أوتيه الأنبياء ردهم على الشبهات والمزاعم بأدلة وبراهين عقلية تنبئ عن هذا العلم. فنوح عليه السلام اعترض الملأ من قومه على دعوته وذكروا أسبابا وعللا ما أنزل الله بها من سلطان لرفضهم دعوته كما حكاه الله عنهم: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هود:٢٧]، فواجه نوح عليه السلام ذلك كله بما يثبت تمكنه من العلم وقدرته على الحجة؛ فقال لهم مفندا شبهاتهم: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۚ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ ۖ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [هود]. فيبدأ نوح عليه السلام جوابه عليهم بإشعارهم بمودته وشفقته ورحمته بهم حيث نسب نفسه إليهم ثم يقول: "أرأيتم إن كنت على يقين وجزم، وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ هي وحيه ورسالته ومنَّ علي بالهداية، فأخفيت عليكم، وبها تثاقلتم. ﴿أَنُلْزِمُكموها﴾ أي: أنكرهكم على ما تحققناه، وشككتم أنتم فيه ﴿وَأَنتُم لَهَا كَارِهُونَ﴾؟ حتى حرصتم على رد ما جئت به، ليس ذلك ضارنا، وليس بقادح من يقيننا فيه، ولا قولكم وافتراؤكم علينا، صادا لنا عما كنا عليه. وإنما غايته أن يكون صادا لكم أنتم، وموجبا لعدم انقيادكم للحق الذي تزعمون أنه باطل، فإذا وصلت الحال إلى هذه الغاية، فلا نقدر على إكراهكم، على ما أمر الله، ولا إلزامكم، ما نفرتم عنه"[٤٩].

وهكذا يتلطف نوح عليه السلام في توجيه أنظارهم إلى القيم والخصائص التي يغفلون عنها في أمر الرسالة والاختيار له، ويبصرهم بأن الأمر ليس موكولاً إلى ظواهر الأمور التي يقيسون بها. ثم يكمل جوابه عليهم بما يبين إخلاصه لله تعالى فيقول: إنني لا أطلب مالاً على الدعوة، فحسابي

وأجري آخذه من الله ثوابا؛ وعليه فالناس كلهم عندي سواء فلن أكون حفياً بالأثرياء غير حفي بالفقراء؛ ولذا لن أستجيب لطلبكم أن أطرد الذين تدعونهم أراذل قد دعوتهم فآمنوا؛ ثم َيا قَوْمِ مَنْ يمنعني من عذاب الله إن طردتهم فإن طردهم موجب للعذاب والنكال، الذي لا يمنعه من دون الله مانع؛ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ما هو الأنفع لكم والأصلح، وتتدبرون الأمور(٥٠). ثم يقدم لهم شخصه ورسالته مجردين عن كل زخرف وعن كل عرض زائف؛ فمن شاء قبلها كما هي مجردة خالصة لله؛ فيقول: "﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ أي: غايتي أني رسول الله إليكم، أبشركم، وأنذركم، وأما ما عدا ذلك، فليس بيدي من الأمر شيء، فليست خزائن الله عندي، أدبرها أنا، وأعطي من أشاء، وأحرم من أشاء. ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ فأخبركم بسرائركم وبواطنكم. ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ والمعنى: أني لا أدعي رتبة فوق رتبتي، ولا منزلة سوى المنزلة، التي أنزلني الله بها، ولا أحكم على الناس، بظني ﴿لَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ﴾ أي: ضعفاء المؤمنين، الذين يحتقرهم الملأ الذين كفروا ﴿لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ ۖ﴾ فإن كانوا صادقين في إيمانهم، فلهم الخير الكثير، وإن كانوا غير ذلك، فحسابهم على الله. ﴿إِنِّي إِذًا﴾ أي: إن قلت لكم شيئا مما تقدم ﴿لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ وهذا تأييس منه، عليه الصلاة والسلام لقومه، أن ينبذ فقراء المؤمنين، أو يمقتهم، وتقنيع لقومه، بالطرق المقنعة للمنصف"(٥١).

وبذلك يتبين لنا بوضوح من خلال هذا الحوار أهلية نوح عليه السلام له؛ إذ امتلك من العلم وقوة الحجة والدليل والبرهان ما مكنه من الرد على شبهات القوم مع الإفحام لهم. وبمثل هذه القوة في الحجة أجاب هود على شبهات قومه وتعنتهم وكذا صالح وشعيب ومحمد عليهم الصلاة والسلام جميعا.

رابعا: التلطف والرفق والرحمة:

من أهم آداب الحوار التلطف والرفق والرحمة؛ إذ بها يمتد "جسرٌ بين المحاور والطرف الآخر وهي مفتاح لقلبه وعقله، وخاصة عندما يشعر بها ويلمسها فتخرج ما في نفسه من أمراض الكبر والبطر والحقد والحسد ونحوها، فهي بذلك وسيلة لجمع القلوب وتأليف الأفئدة، وكلما ظهرت الرحمة على المحاور واتضحت معالمها كلما انشرح صدر الخصم واقترب من محاوره وأوشك على الإذعان والاقتناع"(٥٢).

فالمحاور يسعى لهداية الآخرين واستقامتهم، وهدفه وغايته ظهور الحق لا ظهور نفسه؛ ولذا عليه أن يشفق على خصمه الذي يناظره من الضلال، ويخاف عليه من الإعراض والمكابرة والتولي عن الحق. كما أن الغلظة في الحوار مع الآخر واستخدام الألفاظ القاسية ناهيك عن السباب والتحقير والازدراء ورفع الصوت واللجج وغير ذلك مما يخالف اللين والرفق والرحمة لن يحقق أي نتائج إيجابية بل ربما يعود وباله على المحاور وعلى ما يدعو إليه بحيث سيظهر بمظهر الضعيف الذي لا حجة له ولا دليل معه إلا الغلظة وسوء القول؛ ومن هنا فقد دعا القرآن الكريم الأنبياء ومن سار على نهجهم إلى الحوار مع الآخرين حوارًا رفيعاً مهذباً؛ فجاء الأمر صراحة بالدعوة باللين لنبي الله موسى ومعه هارون عليهما السلام حينما بعثهما ربهما إلى فرعون فقال لهما: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٤]؛ وإنما دعاهما لذلك؛ "لأن تليين القول مما يكسر سورة عناد العتاة، ويلين عريكة الطغاة"[٥٣].

وإذا كان هذا مأمورا به مع فرعون أشد الطغاة ومدعي الربوبية فإنه بلا شك مأمورا به مع غيره ممن هو أقل منه طغيانا ؛ ولذا بمثل ذلك أمر الله نبينا محمد ﷺ فقال له: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل:١٢٥]. قال القرطبي (ت:٦٧١هـ): "أَمَره أَنْ يَدْعُوَ إِلَى دِينِ اللَّهِ وَشَرْعِهِ بِتَلَطُّفٍ وَلِينٍ دُونَ مُخَاشَنَةٍ وَتَعْنِيفٍ"[٥٤]، "وهذا مثل قوله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت:٤٦]، وقوله: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ [الكهف:٢٢]"[٥٥].

والمتأمل في سورة هود يجد مظاهر كثيرة في دعوات الأنبياء عليهم السلام تبيّن أنهم جميعهم التزموا الرفق في حواراتهم مع أقوامهم حتى في أكثر المواقف إيلاما لهم بسخرية بهم أو بما جاءوا به؛ من تلك المظاهر:

١- ما تردد على لسان كل نبي وهو يحاور قومه من كلمة "يا قوم" في كل مرة يخاطبونهم فيها؛ فها هو نوح عليه السلام يرددها على مسامع قومه مستميلًا قلوبهم إليه: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۚ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [هود].

وكذا هود عليه السلام رددها حين حاور قومه: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۖ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِيۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود]، وهذا نبي الله صالح ينادي قومه بذات الكلمة: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًاۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۖ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَاۖ أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ [هود]. قال في المنار: "نَادَاهُمْ بِصِفَةِ الْقَوْمِيَّةِ مُضَافَةً إِلَيْهِ اسْتِمَالَةً لَهُمْ"(٥٦)؛ إذ تبيّن هذه الصفة العلاقة القوية التي تربطه بهم وتربطهم به، وعليه فإنه لا يريد بهم شرا إذ هو واحد منهم، "وأنهم أولى بتصديقه وهو أولى الناس بأن يصْدُقَهم ولا يكذبهم"(٥٧).

٢- ومن المظاهر المبينة لرفق الأنبياء عليهم السلام أيضا شفقتهم على المحاور لهم حتى في معرض الترهيب؛ ومن ذلك ماحكاه الله تعالى على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عند دعوته لقومه محذرا إياهم من الإعراض والصدود: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود:٣]؛ فقوله: "فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ بموجب الشفقة والرحمة"(٥٨)، وجاء في إيجاز البيان: "قال ذلك وإن كان عذاب الكافر يقينا؛ لأنه لا يدرى إلى أي شيء يؤول حالهم من إيمان أو كفر، وهذا الوجه ألطف وأقرب في الدعوة"(٥٩)، وذات القول جاء من قبل على لسان نوح عليه السلام وهو يدعو قومه: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود:٢٦]، وجاء كذلك عن شعيب عليه السلام: ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ [هود:٨٤].

٣- ومن المظاهر المبينة لرفق الأنبياء عليهم السلام ورحمتهم بمن حاوروه حلمهم وصبرهم عليهم؛ فهذا إبراهيم عليه السلام وصفه ربه بما يثبت تلك الرحمة حيث قال في شأنه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود:٧٥]. قال السعدي (ت:١٣٧٦ﻫ): "ذو خلق حسن وسعة صدر، وعدم غضب، عند جهل الجاهلين"(٦٠)؛ فأشار بالثناء على إبراهيم أن جداله محمود، والمعنى: "غير عجول على كل من أساء إليه أو كثير الاحتمال ممن آذاه، صفوح عمن عصاه مع كونه كثير التأوه من خوف الله وتائب راجع إلى الله، وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة فبين أن ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة كما حمله على الاستغفار لأبيه"(٦١).

وقد جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ معترضا بين حدثين: تبشيره بالولد، ومجادلته في قوم لوط... وذلك ليأخذ كل حدث منهما بنصيبه من إبراهيم، وما اشتمل عليه من خلق؛ فهو أولا قد استحق البشرى بهذا الولد، لأنه حليم، أوّاه، منيب، وهو ثانيا يجادل في قوم لوط، ليدفع عنهم هذا البلاء؛ لأنه حليم أواه منيب. وفي الصبر على الأذى يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩٦]. قال الطبري (ت: ٣١٠ه)[٦٢]: "يقول تعالى ذكره لنبيه: ادفع يا محمد بالخلة التي هي أحسن، وذلك الإغضاء والصفح عن جهلة المشركين والصبر على أذاهم"[٦٣]، وقال القرطبي (ت:٦٧١ه): "أمْرٌ بالصفح ومكارم الأخلاق، فما كان منها لهذه الأمة فيما بينهم فهو محكم باق في الأمة أبدا. وما كان فيها من معنى موادعة الكفار وترك التعرض لهم والصفح عن أمورهم فمنسوخ بالقتال"[٦٤]، وقيل: بل هي "محكمة إذ المداراة محثوث عليها ما لم تؤد إلى ثَلْم دين"[٦٥].

وإننا لنلمح طيوف هذا الصبر والصفح واحتمال الأذى والإعراض عن الإساءة في سورة هود عليه السلام في أكثر من موطن:

• نلمحه في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾[هود:٣٥]. ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ هذا الضمير محتمل أن يعود إلى نوح، كما كان السياق في قصته مع قومه.... ويحتمل أن يكون عائدا إلى النبي محمد ﷺ، وتكون هذه الآية معترضة، في أثناء قصة نوح وقومه، لأنها من الأمور التي لا يعلمها إلا الأنبياء؛ فأجابهم الله تعالى بأن النّبي إن افترى هذا الادّعاء فعليه تبعة قوله وهو مسئول عن ذنبه وجرمه، وهو بريء من جرائم قومه وآثامهم، وسيجزيهم الله على أعمالهم، والنبي أعلم بما عند الله من عقوبة المكذبين، وكل إنسان مسئول عن ذنبه[٦٦]. قال السعدي (ت:١٣٧٦ه): "فإذا زعموا – مع هذا– أنه افتراه، علم أنهم معاندون، ولم يبق فائدة في حجاجهم، بل اللائق في هذه الحال، الإعراض عنهم، ولهذا قال: ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾ أي: ذنبي وكذبي، ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ أي: كل عليه وزره"[٦٧].

• ونلمحه بعد أن حكى الله لنبيه محمد ﷺ قصة نوح وعظيم صبره أمره أن يصبر كما صبر فقال له: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود:٤٩]؛ أي: فاصبر على القيام بأمر الله وتبليغ الرسالة وما تلقى من أذى الكفار كما صبر نوح"[٦٨].

• ونلمحه في مواقف الأنبياء من سخرية واستهزاء أقوامهم بهم؛ حيث صبروا عليهم واكتفوا بتهديدهم أنهم سيرون عاقبة فعلهم يوم يحل عليهم العذاب، يقول الله تعالى قاصا لنا سخرية الملأ من قوم نوح به ﷺ لما صنع السفينة استعدادا لمجيء العذاب: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ۚ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود:٣٨]، قال السمعاني (ت:٤٨٩ھ)[٦٩]: "إن هذا على وجه ازدواج الكلام، وَمَعْنَاهُ: إن تستجهلوني فإني أستجهلكم إذا نزل العذاب. وَقيل معناهُ: إن تسخروا مني فسترون عاقبة سخريتكم"[٧٠].

هذا هو شأن الملأ دوما يسخرون لأنهم لا يرون إلا ظواهر الأمور... فأما نوح فيدرك ما وراء هذه الظواهر بعلم الله له؛ ولذا في ثقة وطمأنينة واستعلاء يبادلهم نوح ﷺ سخرية بسخرية؛ لأنهم يجهلون ما وراء هذا العمل من تدبير الله وما ينتظرهم من مصير.

وهذا موقف آخر عن سخرية قوم شعيب بنبيهم ﷺ بعد أن نصحهم بعبادة الله وحده وترْك تطفيف الكيل والميزان، متلطفا معهم بالخطاب ولكنهم قابلوا دعوته بالاستهزاء والسخرية والتسفيه له: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۖ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود:٨٧]. قال الطبري (ت:٣١٠ھ): "فإنهم أعداء الله، قالوا ذلك له استهزاءً به، وإنما سفَّهوه وجهَّلوه بهذا الكلام"[٧١]، وما كان منه ﷺ مقابل سخريتهم وتسفيههم إلا أن استمر في دعوتهم مبينا لهم أنه ملتزم بما يأمرهم به؛ جاعلا غايته الإصلاح ما استطاع: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨]. وليس كفار مكة ببعيدين عن من قبلهم فقد سخروا هم أيضا من نبيهم محمد ﷺ: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [هود:٨].

إنها ذات المواقف للكفار وذات المواقف للأنبياء؛ فأمام سخريتهم بالعذاب استبعادا للبعث يأتي موقف النبي الصابر المحتمل لأذاهم والمحذر لهم من غيهم واستهزائهم. قال الثعلبي (ت:٤٢٧ھ)[٧٢]: "يقولون ذلك استعجالا للعذاب واستهزاء، يعنون أنه ليس بشيء. ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ العذاب ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: أي رجع إليهم ونزل بهم وبال استهزائهم"[٧٣].

• ونلمحه أيضا في مواقف الأنبياء من تهديد أقوامهم لهم بالقتل، لقد صبروا على ذلك وما كان منهم إلا أن استمروا في دعوتهم؛ ومن ذلك ما قاله قوم شعيب لنبيهم عليه السلام: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ۖ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١]، وإزاء ذلك التهديد بالقتل استمر شعيب في دعوتهم وتحذيرهم من مغبة فعلهم وعدم خوفهم من الله وخوفهم من المخلوق الأضعف وهم قرابته فقال لهم: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [هود: ٩٢]، "ومعناه: إنّكم تزعمون أنكم تتركون قتْلِي لكرامة رهطي، فأولى أن تكرموا أمر الله وتتبعوه؛ وحقيقة المعنى: هو الإنكار على من اتَّقى النَّاس ولم يتق الله" (٧٤). قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٤ﻫ)(٧٥): "وهو كناية عن اعتزازه بالله لا برهطه فلا يريبه عدم عزة رهطه عليهم، وهذا تهديد لهم بأن الله ناصره لأنه أرسله فعزته بعزة مرسله" (٧٦).

٤- ومن مظاهر رفق الأنبياء بأقوامهم مراجعتهم الله تعالى في شأن هلاك الكفار؛ فنوح عليه السلام رغم جبروت قومه وشدة عنادهم حتى قضى الله عليهم بالهلاك بعد مدة طويلة في دعوتهم (٩٥٠ عاما) يراجع الله في شأن هلاكهم بعد أن قضاه سبحانه عليهم حتى جاءه النهي عن ذلك فقال: ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ [هود: ٣٧]، والمعنى: لا تراجعني في إهلاكهم ولا ترأف في قومك؛ إنهم مغرقون قد حق عليهم القول، ونفذ فيهم القدر(٧٧)؛ بسبب ظلمهم لأنفسهم لما لم يقبلوا الحق الذي جيئتهم به(٧٨)، وكذلك إبراهيم عليه السلام يراجع رسل الله في شأن هلاك قوم لوط، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ [هود].

خامسا: الوضوح:

أحد أهم الآداب في الحوار والتي ينبغي أن يلتزمها المحاور مع خصمه الوضوح؛ لأن "الْجَاهِلُ إِذَا لَمْ يَكُنِ الْمُبَيِّنُ لَهُ فِي غَايَةِ الْوُضُوحِ لَا يَقْبَلُهُ فَيَبْقَى فِي وَرْطَةِ الضَّلَالَةِ" (٧٩)، ولذا كان الوضوح سمة بارزة عند جميع الأنبياء عليهم السلام في حواراتهم مع أقوامهم وقد ظهر هذا الوضوح في أكثر من صورة منها:

١- بيان الأنبياء لأقوامهم في أول الحوار معهم أن مهمتهم هي البلاغ لهذا الدين؛ وعليه ليس من مهماتهم هداية الناس أو إجبارهم على قبول الدعوة أو الاستجابة لاقتراحات القوم وطلباتهم؛ فنوح عليه السلام بين لقومه هذه الحقيقة في أول حواره معهم؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا

إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [هود]، وفي سورة [الأعراف:٦٢] قال: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، وقد أعلنها كذلك نبينا محمد ﷺ في أول حواره مع قومه، قال تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۚ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود:٢]. ومع ذلك لم يفهم القوم طبيعة هذه المهمة عن أنبيائهم؛ فهؤلاء الملأ من قوم نوح نجدهم يقترحون أمورا لا تمت بصلة لمهمة البلاغ؛ فيأتيهم الجواب أنهم تعاموا عن الحق الذي معه واشتغلوا بمثل هذه الاقتراحات التي تدل على جهلهم، واذا كان الأمر كذلك فهو ما عليه إلا البلاغ أما هدايتهم فليست من مهماته. قال تعالى قاصّا الحوار بينهما: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴿٢٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴿٢٨﴾﴾ [هود]. وفي وضوح يستمر نوح عليه السلام في تحديد ما هو من مهامه وما ليس من مهامه فيقول: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۚ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴿٢٩﴾ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ ۖ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴿٣١﴾﴾ [هود].

وكذلك هم الكفار في كل دعوة؛ فكفار مكة أيضا لم يفهموا طبيعة مهمة النبي ﷺ؛ فطلبوا منه ما يخالف معنى هذه المهمة مما جعله يضيق صدره بما يقولون، ويجيبهم بما يبين حقيقة مهمته ليعوها جيدا؛ يقول تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود:١٢]. قال السمعاني (ت:٤٨٩ç): "معناه: إِن عَلَيْك الْإِنذار والإبلاغ، وليس عليْك أن تأتي بالآيات الَّتِي يقترحونها"[٨٠]، "وأبرز صفة النذير هنا؛ لأن المقام يستوجبها مع أمثال هؤلاء"[٨١].

٢- هذا الوضوح نلمسه أيضا في الأدلة والبراهين التي قدمها الأنبياء لأقوامهم إما في سبيل إثبات عبودية الله أو الرد على الشبهات المزعومة، ولنأخذ مثلا على ذلك قصة هود عليه السلام مع قومه فإنه دعاهم لعبادة الله وقدم لهم الأدلة الواضحة من ربوبية الله في الخلق والرزق على استحقاقه للعبادة ومع ذلك أنكروا مجيئه بالبينة لهم بل واتهموه بالخبل في عقله ونسبوا ذلك لآلهتهم تكذيبا منهم بنبيهم؛ فرد عليم هود عليه السلام زعمهم في وضوح بالقول والفعل. يقول الله تعالى: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴿٥٣﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا

اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ۚ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود]؛ "هَذَا القَوْل معْجزَة لهود صلوَات الله عَلَيْهِ فَإِنَّهُ أَمرهم أَن يحتالوا بِكُل حِيلَة لإيصال مَكْرُوه إِلَيْهِ هم وءالهتهم، ومنعهم الله تَعَالَى عَن ذَلِك فَلم يقدروا عَلَيْهِ" (٨٢)، وذلك بعد أن أعلن لهم في وضوح براءاته من شركهم، ثم علل لهم ذلك بأنه متوكل على الله لا يخشى إلا هو؛ فبيده وحده أمر العباد نفعا أو ضرا. قال القرطبي: "وهذا القول مع كثرة الأعداء يدل على كمال الثقة بنصر الله تعالى. وهو من أعلام النبوة، أن يكون الرسول وحده يقول لقومه: فكيدوني، وكذلك قال النبي ﷺ لقريش. وقال نوح ﷺ: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١]" (٨٣).

ومن أمثلة ذلك أيضا وضوح الدلائل والبراهين التي ساقها النبي ﷺ لإثبات أن القرآن كلام الله تعالى ووحيه إليه لا كلامه كما اتهمه بذلك المفترون. قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود]؛ فنفى النبي ﷺ زعمهم وأثبت في المقابل أن القرآن كلام الله بالدليل العملي اليقيني الواضح؛ إذ دعاهم إلى المعارضة؛ فقال لهم على سبيل التحدي إن كان الأمر كما تزعمون من أني قد افتريت هذا القرآن وحدي، فأنا واحد منكم وبشر مثلكم أملك ما تملكون من الفصاحة والبلاغة؛ وأنتم الأعداء حقا، الحريصون بغاية ما يمكنكم على إبطال دعوتي، فهاتوا أنتم عشر سور مختلقات من عند أنفسكم تماثل ما جئت به في حسن النظم وبراعة الأسلوب، ولستم مَدْعُوين وحدكم بل ادعوا لمعاونتكم كل مَن يستطيع المعاونة من الإنس أو الجن أو الآلهة. فَإِنْ لَمْ تقدروا على المعارضة؛ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزلَ من عند الله؛ لقيام الدليل والمقتضي وانتفاء المعارض، واعلموا أنه وحده المستحق للألوهية والعبادة إذ هي الهدف من الرسالة، وإذ عجزت آلهتكم عن الإتيان بمثله. فَهَلْ أَنْتُمْ منقادون لألوهيته مستسلمون لعبوديته بعد أن ثبت لكم بالدليل القطعي والبرهان العملي الواضح كذِب ما زعمتم؟ (٨٤).

قال السعدي (ت: ١٣٧٦هـ): "في الآيات إرشاد إلى أنه لا ينبغي للداعي إلى الله أن يصُده اعتراض المعترضين، ولا قدْح القادحين خصوصا إذا كان القدح لا مستند له .... وأنه لا يجب إجابة اقتراحات المقترحين للأدلة التي يختارونها بل يكفي إقامة الدليل السالم عن المعارض على

جميع المسائل والمطالب"(٨٥).

٣- ومن صور الوضوح ولوازمه مخاطبة المحاور على قَدر عقله؛ حتى يفهم عنه وتصل الفكرة إليه في وضوح، ولا يقع في الفتنة بما سمعه؛ قال ﷺ: (ما أنت بمُحَدِّث قوماً حديثاً لا تَبلُغُه عقُولهم إلا كان لبعضهم فِتْنة)(٨٦). قال العيني (ت:٨٥٥هـ)(٨٧): "وَفِيه دَلِيل على أن الْمُتَشَابه لا ينبغِي أن يُذكر عند العامَّة... وذلك لأن الشَّخص إذا سمع ما لا يفهمه وما لايتَصَوَّر إمكانه يعتقد استحالته جهلا فلا يصَدّق وجوده"(٨٨).

فمن أبلغ البلاغة إذن مخاطبتهم بما يفهمون والاحتجاج بما يعرفون؛ لاختلاف الناس في عقولهم وإراداتهم واختياراتهم... ومن هنا خاطب أنبياء الله عليهم السلام الناس وحاوروهم على قدر عقولهم؛ ومن ذلك:

• استدلال الأنبياء بالحجج والبراهين والدلائل اليقينية التي يشاهدها أقوامهم ويعرفونها بمداركهم مع تنوع أساليب الاستدلال والبيان.

والمتأمل في سورة هود عليه السلام يجد ما يشير إلى أن الأنبياء خاطبوا الناس على قدر عقولهم وبما تستوعبه أذهانهم وتنزلوا في الخطاب معهم على قدر عقولهم؛ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾﴾ [هود]؛ ففي معرض إثبات العبودية لله تعالى ومن ثم قضية البعث نجد النبي ﷺ يقدم من الأدلة والبراهين ما يثبت ذلك لقومه ملفتا أنظارهم لماهم يشاهدونه ويُقِرون به ويدركونه ويفهمونه؛ فرزق الدّواب -ومنها الإنسان- كما يشاهدون ويدركون على الله، وهو وحده يعلم عن رزقها وشؤونها من أول حياتها إلى مماتها. وهو أيضا الخالق لأعظم مخلوق مشاهد لهم وهما السموات والأرض وهم مُقِرّون بكل ذلك من الخلق والرزق؛ كل ذلك ليمتحنهم مَن يطيع ومَن يعصي، فكان لزاما عليهم الإقرار بعبودية الله وبقضية البعث بعد أن أثبت لهم النبي ﷺ بالأدلة من حولهم ما لله من خصائص ربوبيته وقدرته المطلقة ولكنهم كفروا وكذبوا(٨٩). قال ابن عاشور (ت:١٣٩٤ç): "يتعجب من حال الذين كفروا أن يحيلوا إعادة الخلق وقد شاهدوا آثار بدء الخلق وهو أعظم وأبدع"(٩٠).

• ومن أمثلة مخاطبة الناس على قدر عقولهم ضرب الأمثال؛ وذلك لتقريب المعاني المعقولة التي لا يفهمونها في صورة محسوسة مفهومة وذلك كضرب النبي ﷺ هذا المثل لقومه: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود:٢٤]. فمن خلال هذا المثل أدرك القوم عدم استواء الكافر بالمؤمن لكونه ضربه لهم بمثل واقع مشاهد لديهم؛ فكما أن الأعمى والأصم لا يمكن أن يستوي عندكم بالبصير والسميع؛ فكذلك الكافر الذي أعمى بصره وأصم أذنه عن الحق لا يمكن أن يستوي عند الله بالمؤمن الذي أبصر الحق وسمعه، أفلا تذكرون؛ فتفرقون بين هؤلاء وهؤلاء وتختارون لأنفسكم السبيل الأنفع والأصلح(٩١).

سادسا: حسن الاستماع والإنصات:

من أهم الآداب التي لا ينفك عنها الحوار؛ حُسن استماع المتحاورين لبعضهم، "لأن السماع الجيِّد يتيح القاعدة الأساسية لالتقاء الآراء وتحديد نقاط الخلاف وأسبابه. ويقود حسن الاستماع إلى فتح القلوب واحترام الآخر وراحة النفوس، وتَسْلم فيه الأعصاب من التوتر والتشنج، كما يُشْعِرُ بجدّية المحاور وتقدير المخالف وأهمية الحوار، ومن ثم يتوجه الجميع إلى تحصيل الفائدة والوصول إلى النتيجة"(٩٢). قال سفيان بن عيينة (ت:١٩٨ﻫ)(٩٣): "أول العلم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر"(٩٤)؛ ولكل ما سبق مدح الله تعالى عباده على حسن الاستماع فقال: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر:١٨]، وذمّ على خلاف هذا الوصف فقال سبحانه: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ [الإسراء:٤٧]. بل وأمر عباده بحسن الاستماع والإنصات أدبا لهم، فقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٤]، ومن مقتضيات حسن الاستماع ما قاله وهب بن منبه(٩٥): "من أدب الاستماع سكون الجوارح وغض البصر، والإصغاء بالسمع، وحضور العقل، والعزم على العمل"(٩٦). ويقول ابن المقفع (ت:١٤٥ﻫ)(٩٧): "تَعلَّمْ حُسن الاستماع كما تتعلم حُسن الكلام؛ ومن حُسن الاستماع: إمهال المتكلم حتى ينقضي حديثه، وقلة التلفت إلى الجواب، والإقبال بالوجه، والنظر إلى المتكلم، والوعي لما يقول"(٩٨).

ولقد كان الأنبياء عليهم السلام مثلا أعلى في حسن الاستماع لمحاوريهم بل كانوا يتفضلون عليهم؛ فيمنحونهم الفرصة الأولى للإدلاء بآرائهم وحججهم؛ فعندما قال السحرة لموسى عليه السلام: ﴿إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ﴾ [طه:٦٥،٦٦]، فأعطاهم الفرصة الأولى للإدلاء بالبيّنات.

والمتأمل في حوارات الأنبياء مع أقوامهم في سورة هود يشعر بذلك الإنصات منهم عليهم السلام لمحاوريهم؛ حيث أتم القوم عرض شبهاتهم دون مقاطعة من الأنبياء عليهم السلام بل وردوا ردا مفصلا عن كل شبهة أثارها القوم مما يعني حسن استماعهم لما طُرح عليهم من حجج وآراء؛ هذا مع كونها باطلة.

ولنتأمل الحوار بين نوح عليه السلام وقومه مليا؛ سنجده مشيرا لما ذكرناه يقول تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۚ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ ۖ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [هود].

وفي حوار هود عليه السلام مع قومه يقول الله تعالى: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ۚ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾ [هود].

"وإذا كان حتى الكافر يمنح تلك الفرصة في الاستماع ليعرض أفكاره وآراءه؛ فإن ذلك الحق نفسه لا بد وأن يعطى للمخالفين ضمن إطار التصور الإسلامي العام، أو للمخالفين من أصحاب الثقافات والحضارات والأديان الكتابية على وجه الخصوص، فالحوار آلية مهمة لتحقيق أداء واجب الدعوة بالتبليغ لرسالة الدين الحنيف" (٩٩).

الخاتمة:

بعد هذه الجولة مع آداب الحوار في القصص القرآني (سورة هود أنموذجا) نقف على:

١- أهمية الحوار وآدابه في ضوء القصص القرآني وفي رحاب سورة هود؛ حيث يبقى الحوار عذبا رقيقا، بعيدا عن الفوضى والمهاترات؛ فيكون أقرب لتحقيق أهدافه المنشودة.

٢- تمثل المواقف الحوارية في القصص القرآنيّ في سورة هود نماذج حية لأدب الحوار؛ فإن حوارات الأنبياء مع أقوامهم تشير بكل وضوح إلى التزام الأنبياء عليهم السلام بآداب الحوار وفي المقابل تدل على سوء أدب الأقوام معهم.

٣- من أبرز آداب الحوار الأساسية المستنبطة من القصص القرآني في سورة هود والتي تندرج تحتها كثير من الآداب الفرعية: الإخلاص لله تعالى، والاستقامة على المنهج، وأهلية المحاور بالعلم، والتلطف والرحمة والرفق، والوضوح وحسن الاستماع والانصات.

٤- أهلية المحاور تقتضي علم المحاور بالمنهج الحق وأولوياته، والعلم بالواقع الذي يريد أن يطبق عليه منهج الحق، وكذا العلم بالأدلة والبراهين والسبل التي تمكنه من إيصال قوله وإقناع الآخر به؛ ليؤتي الحوار ثمرته.

٥- من مظاهر رفق المحاور بمن يحاوره، مناداته بألطف العبارات، وإظهار شفقته به حتى في معرض الترهيب له، والصبر عليه واحتمال الأذى منه.

٦- الوضوح مع المتحاور أدب مهم من آداب الحوار ومنه: الوضوح في موضوع الحوار، والوضوح في الأدلة والبراهين، ومخاطبته على قدر عقله ليتضح المقصود.

٧- حسن الاستماع أدب للأنبياء عليهم السلام، ومن دلائله ردهم على شبهات المخالفين ردا مفصلا مما يعني حسن استماعهم لهذه الشبهات ووعيها عن المحاور.

الهوامش:

١- انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها للنحلاوي، ص(٢٠٦) دار الفكر، بيروت، ط(٢٥)، ١٤٢٨هـ، في أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب، ص(٢٠)، دار الندوة العالمية، ط(٤)،١٤١٦هـ، الحوار الإسلامي المسيحي، بسام عجك ص(٢٠)، دار قتيبة، دمشق، ط(١)،١٤٠٨هـ.

٢- لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم، (٣٦/١) دار صادر، بيروت، ط(٣)، ١٤١٤هـ.

٣- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي أحمد بن محمد(٩/١)، المكتبة العلمية ــ بيروت، ط(بدون)، ت(بدون).

٤- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد الحسيني، (١٢/٢)، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ط (بدون)، ت(بدون).

٥- التعريفات، الجرجاني علي بن محمد، ص(١٥)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان، ط(١)١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٦- أدب الدنيا والدين، للماوردي علي بن محمد، ص(٢٣٢)، دار مكتبة الحياة، ط(بدون)، ١٩٨٦م.

٧- لسان العرب، ابن منظور (٢١٧/٤).

٨- في القرآن جاءت كلمة (يحاوره) في موضعين من سورة الكهف؛ قوله تعالى: [فقال لصاحبه وهو يحاوره](٣٤)، وقوله تعالى: [قال له صاحبه وهو يحاوره](٣٧) والمعنى: "وهو يخاطبه ويكلمه" قاله الطبري في تفسيره(٢٢،٢٣/١٨)، وكذا جاءت كلمة "تحاور" في سورة المجادلة، قال تعالى: [والله يسمع تحاوركما](١) والمعنى: "مراجعتكما الكلام ــالنبي ﷺ وخولة "قاله البغوي في تفسيره (٣٩/٥)، وجاءت كلمة (يحور) في سورة الانشقاق في قوله تعالى: [إنه ظن أن لن يحور](١٤) والمعنى: "أن لن يرجع إلينا، ولن يُبعث بعد مماته" قاله الطبري في تفسيره(٣١٦/٢٤).

وأما السنة فجاءت كلمة "الحور" في حديث: (...والحَوْر بَعْدَ الكَوْر) أخرجه مسلم في صحيحه عن عَبْدِاللهِ بْنِ سَرْجِسَ، كتاب الحج، باب: ما يقول إذا ركب سفر الحج، حديث رقم: (١٣٤٣) (٩٧٩/٢)، المحقق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت. وجاءت كلمة "حار" في حديث (..ومن دعا رجلا بالكفر أو قال: عدو الله، وليس كذلك إلا حار عليه)، أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي ذر، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم، حديث رقم: (٦١)(٧٩/١)، وجاءت كلمة (محاورة) فيما رواه أبو الدرداء قال: "انت بين أبي بكر وعمر محاورة .." أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب (قل يأيها الناس إني رسول الله...)، حديث رقم: (٤٦٤٠) (٥٩/٦)، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط(١)،١٤٢٢هـ.

٩- انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني الحسين بن محمد، ص(٢٦٢) دار القلم، الدار الشامية ــ دمشق بيروت، ط (١)، ١٤١٢هـ.

١٠- الحوار الإسلامي المسيحي، بسام عجك ص(٢٠).

١١- المفردات للأصفهاني، ص(١١٧).

١٢- انظر: مناهج الجدل في القرآن الكريم، للألمعي زاهر عواض، ص(٥٠) مطابع الفرزدق، الرياض، ط (٣).

١٣- الحوار في القرآن قواعده، أساليبه، معطياته، محمد حسين فضل الله، ص(٥٢)، دار الملاك، بيروت، ط (٦)، ١٤١٢هـ.

١٤- الحوار الإسلامي المسيحي، بسام عجك، ص(٢١).

١٥- المرجع السابق، ص(٢٢).

١٦- الحوار فنياته واستراتيجياته وأساليب تعلمه، منى إبراهيم اللبودي، ص(٤٩)، مكتبة وهبة، القاهرة، ط (١)، ١٤١٣هـ.

١٧- الحوار القرآني، لأحمد محمد الشرقاوي، ص(١)، ١٤٢٨هـ.

١٨- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد -باب كراهية ترك الغزو- حديث رقم: (٢٥٠٤) عن أنس، والإمام أحمد في المسند(٣/١٢٤)، وقال محققه شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة فمن رجال مسلم، وأخرجه الحاكم في المستدرك حديث رقم: (٢٣٨٤)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، والدارمي في السنن حديث رقم: (٢٤٣١) (٢/٢٨٠)، وقال محققه حسين سليم أسد: إسناده صحيح .

١٩- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري المالكي، أبو عبدالله القرطبي، مفسر، من تصانيفه: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته السنة وآي الفرقان، الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، التذكرة بأحوال الموتى والآخرة وغيرها، توفي عام (٦٧١هـ) بمصر. انظر: شذرات الذهب (٥/٣٣٥)، طبقات المفسرين للسيوطي، ص(٢٨-٢٩).

٢٠- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣/٢٨٦).

٢١- انظر: أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، عبدالحليم حفني، ص(٢٧-٢٨).

٢٢- مناهج الجدل في القرآن للألمعي، ص(٤٣١) بتصرف.

٢٣- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام (١/١٢٣)، المحقق: محمود بن التلاميد الشنقيطي، دار المعارف بيروت – لبنان.

٢٤- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، ص(٣٣)، المحقق: زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، ط (١)، ١٤٢٣هـ.

٢٥- في ظلال القرآن، سيد قطب (١٨٧١/٤)، دار الشروق - بيروت - القاهرة، ط (١٧) ١٤١٢هـ.

٢٦- الملأ: هم علية القوم وأشرافهم وساداتهم ووجوههم؛ وسموا بذلك لأنهم يملأون العيون رواء ومنظرا، والنّفوس بهاء وجلالا. انظر: لسان العرب لابن منظور (١٥٩/١)، والمفردات للأصفهاني، ص(٧٧٦)، والنهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير المبارك بن محمد الشيباني (٣٥١/٤)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٧- انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور محمد الطاهر (٥٥/١٢)، الدار التونسية، تونس، ط (بدون)، ١٩٨٤هـ.

٢٨- جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري محمد بن جرير (٣٥٧/١٥)، المحقق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط (١)، ١٤٢٠هـ.

٢٩- ففي "سُورَةِ **ص**": ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [٣٨-٨٦]. وَقَوْلِهِ فِي "الْفُرْقَانِ": ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [٢٥-٥٧]. وَقَوْلِهِ فِي "الْأَنْعَامِ": ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ [٦-٩٠]. وَقَوْلِهِ فِي "الشُّعَرَاءِ": عَنْ نُوحٍ، وَهُودٍ، وَصَالِحٍ، وَلُوطٍ، وَشُعَيْبٍ عَلَيْهِمْ وَعَلَى نَبِيِّنَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢٦-١٠٩].

٣٠- محاسن التأويل للقاسمي (١٠٦/٦).

٣١- إسماعيل بن عمر بن كثير، عماد الدين أبو الفداء، محدث مؤرخ، مفسر، فقيه، له تصانيف من أشهرها: تفسير القرآن العظيم، البداية والنهاية، مختصر علوم الحديث لابن الصلاح وغيرها، توفي عام (٧٧٤هـ) بدمشق. انظر: الدرر الكامنة لابن حجر (٣٧٣/١-٣٧٤)، شذرات الذهب لابن العماد (٢٣١/٦-٢٣٢).

٣٢- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير إسماعيل بن عمر، (٥١٧/٢) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط (٢)، ١٤٢٠هـ.

٣٣- أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحرّاني، شيخ الإسلام أبو العباس، ولد بحران، وسكن دمشق، وبرع في كثير من العلوم دعا إلى السنة وردّ على أهل البدع، له مؤلفات كثيرة منها: درء تعارض العقل والنقل، منهاج السنة النبوية في الردّ على الشيعة والقدرية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح وغيرها، توفي مسجوناً في قلعة دمشق عام(٧٢٨هـ). انظر: العِبر في أخبار من غبر (٨٤/٤)، الجامع لسيرة ابن تيمية، علي عمران، ص(٥٥).

٣٤- مجموع الفتاوى، لابن تيمية أحمد بن عبدالحليم (٢٣٥/٢٨)، المحقق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ط (بدون) ١٤١٦هـ.

٣٥- محمد بن أدريس بن العباس ابن عثمان بن السايب، أبو عبدالله الشافعي المكي الفقيه المطلبي، ولد سنة (١٥٠هـ)، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه نسبة الشافعية كافة، وهو من أشعر الناس وآدبهم وأعرفهم بالفقه والقراءات، له تصانيف كثيرة أشهرها الأم والرسالة، توفي في مصر سنة (٢٤٠هـ). انظر: تذكرة الحفاظ (٣٢٩/١) والوافي بالوفيات (١٣١/٢).

٣٦- آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم عبدالرحمن بن محمد الرازي، ص(٦٨)، تحقيق: عبدالغني عبدالخالق، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط (١) ١٤٢٤هـ.

٣٧- انظر: السنة النبوية رؤية تربوية، ص(٣٥٦)، أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية للعاني، ص(٣٢٩).

٣٨- منهج التربية الإسلامية لمحمد قطب ص(١٨١).

٣٩- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب (١٨) جامع صلاة الليل، حديث رقم: (٧٤٦) (٥١٣/١).

٤٠- البَطَرُ: الطغيان عند النعمة وقلة القيام بحقها وصرفها إلى غير وجهها، انظر: المفردات، مادة (بطر) ص (٦٠)، النهاية، مادة (بطر) (١٤١/١).

٤١- الهَجْر: الهاء والجيم والراء أصلان، يدل أحدهما على قطيعة وقطع، والآخر على شدّ الشيء وربطه، والمراد هنا الأول وهو ضد الوصل، والمعنى لا يُقطع من أصحابه رغم هزيمته ليقينهم بصدق نبوته. انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة (هجر) ص(١٠٢٤)، المفردات، مادة (هجر) ص(٥١٤).

٤٢- نَجَز: النون والجيم والزاء أصل صحيح يدل على كمال الشيء في عجله من غير بط، يقال: نَجَزَ الوعد يَنْجُز، وأنجزْتُه أنا: أعجلته وأعطيته ما عندي حتى نجز آخره، أي وصل إليه آخره. انظر: مقاييس اللغة، مادة (نجز) ص (٩٧٦)، تهذيب اللغة، مادة (نجز) (٣٥١٩/٤).

٤٣- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر أحمد العسقلاني (٥٣٨/١)، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط (١) ١٤١٥هـ.

٤٤- جامع البيان للطبري (٤٥٣/١٥).

٤٥- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار (١٩٧/٢)، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ط (بدون) ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٤٦- عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي التميمي، من علماء الحنابلة، مفسر، أصولي، فقيه، واعظ، له مؤلفات عديدة منها: القواعد الحسان لتفسير القرآن، والقواعد والأصول الجامعة، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان وغيرها، توفي سنة (١٣٧٦هـ) في عنيزة. انظر: الأعلام (٣٤٠/٣)، معجم المؤلفين لكحالة (٣٩٦/١٣-٣٩٧)،

مقدمة تفسيره تيسير الكريم بقلم أحد تلاميذه، ص(٥-٨).

٤٧- تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٤٩٤).

٤٨- مذكرة التوحيد، عبدالرزاق عفيفي، ص(٩٤)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط (١) ١٤٢٠هـ.

٤٩- تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٣٨٠) بتصرف.

٥٠- انظر: جامع البيان للطبري (٣٠٢/١٥)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي محمد بن أحمد، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط (٢) ١٣٨٤هـ، تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص (٣٨١).

٥١- تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص (٣٨١).

٥٢- الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة يحيى زمزمي، ص(٢٠٧).

٥٣- محاسن التأويل للقاسمي (١٢٧/٧).

٥٤- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠٠/١٠).

٥٥- بحر العلوم للسمرقندي نصر بن محمد بن أحمد (٢٩٧/٢).

٥٦- تفسير القرآن الحكيم المسمى (تفسير المنار)، لمحمد رشيد بن علي رضا (٤٣٦/٨) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ١٩٩٠م.

٥٧- زهرة التفاسير، لمحمد أبو زهرة (٢٧٩٦/١)، دار الفكر العربي.

٥٨- روح البيان، لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي (٩٢/٤)، دار الفكر - بيروت.

٥٩- إيجاز البيان عن معاني القرآن، للنيسابوري محمود بن أبى الحسن بن الحسين (٤١٠/١)، تحقيق: حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط (١) ١٤١٥هـ.

٦٠- تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣٨٦).

٦١- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي عبدالله بن أحمد (٧٣/٢)، تحقيق: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط (١) ١٤١٩هـ.

٦٢- محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، المؤرخ المفسر الإمام، كتب في عدد من العلوم؛ كالتفسير والحديث والتاريخ والقراءات والفقه، من مصنفاته: تاريخ الأمم والملوك المعروف (بتاريخ الطبري)، وجامع البيان في تأويل آي القرآن المعروف (بتفسير الطبري)، واختلاف الفقهاء، والمسترشد في علوم الدين وغير ذلك، توفي سنة (٣١٠هـ).

انظر: تار[illegible] للداودي (٢/١١٢)، الفهرست لابن النديم، ص (٢٨[illegible]).

٦٣- جامع البيان للطبري (١٩/٦٧).

٦٤- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/١٤٧).

٦٥- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (٢/٤٨٠).

٦٦- انظر: بحر العلوم للسمرقندي (٢/١٤٨) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/٢٩).

٦٧- تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٣٨١).

٦٨- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي (٤/١٨٢).

٦٩- منصور بن محمد بن عبدالجبار التميمي المروزي الحنفي ثم الشافعي، أبو المظفر السمعاني، إمام علامة، كان شوكة في أعين المخالفين وحجة لأهل السنة، شارك في عدد من العلوم، فهو مفسر، ومحدث، وفقيه، إلى جانب علمه باللغة العربية، من أشهر مصنفاته تفسير القرآن، وله كتاب الانتصار لأصحاب الحديث، والقواطع في أصول الفقه والمنهاج لأهل السنة، وغير ذلك، توفي سنة (٤٨٩هـ). انظر: طبقات المفسرين للداودي محمد بن علي (٢/٣٣٩)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٥/٣٣٥).

٧٠- تفسير القرآن للسمعاني منصور بن محمد، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض - السعودية، ط (١) ١٤١٨هـ.

٧١- جامع البيان للطبري (١٥/٤٥٢).

٧٢- هو أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق الثعلبي، الإمام، الحافظ، العلامة، شيخ التفسير، كان أحد أوعية العلم. له كتاب التفسير الكبير، وكتاب العرائس. قال السمعاني: يقال له: الثعلبي والثعالبي؛ وهو لقب له لا نسب، توفي عام ٤٢٧هـ.

٧٣- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي أحمد بن محمد، تحقيق: أبو محمد بن عاشور (٥/١٥٩)، مراجعة: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط (١) ١٤٢٢هـ.

٧٤- تفسير القرآن للسمعاني (٢/٤٥٤).

٧٥- هو محمد الطَّاهر بن محمد بن محمد الطَّاهر، ولد في قرية المرسى سنة (١٢٩٦هـ)، وهو عالم مفسر، درَّس في جامع الزيتونة، وتولى منصب القضاء في تونس. وهو أوَّل من أحيا التَّصانيف في مقاصد الشَّريعة في العصر الحديث، له مؤلفات من أشهرها التحرير والتنوير، ومقاصد الشريعة الإسلامية توفي سنة (١٣٩٤هـ) انظر: كتاب محمد الطَّاهر ابن عاشُور، علَّامة الفِقه وأُصوله والتَّفسير وعُلومه، إياد خالد الطَّباع، دار القلم، بدمشق، ط (١) ١٤٢٦هـ.

٧٦- التحرير والتنوير لابن عاشور (١١/٣٢٠).

٧٧- انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص(٣٨١)، والتفسير الوسيط للزحيلي (١٦٨٦/٢).

٧٨- انظر لمسات بيانية لسور القرآن الكريم، فاضل صالح السامرائي، ص(٥٦).

٧٩- مفاتيح الغيب للرازي (١٩٠/٢٨).

٨٠- تفسير القرآن للسمعاني (٤١٦/٢).

٨١- في ظلال القرآن لسيد قطب (١٨٦١/٤).

٨٢- تفسير القرآن للسمعاني (٤٣٦/٢).

٨٣- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥٢/٩).

٨٤- انظر: جامع البيان للطبري (٢٦٠/١٥-٢٦١)، محاسن التأويل للقاسمي (٨٠/٦-٨١)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص(٣٧٨).

٨٥- تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص(٣٧٨).

٨٦- أخرجه مسلم في المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع (١١/١) من حديث عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود بن عبدالله بن مسعود. قال الأرناؤوط في جامع الأصول (١٦/٨): "وإسناده منقطع، فإن عبيدالله بن عبدالله ابن عتبة بن مسعود روايته عن عم أبيه عبدالله بن مسعود مرسلة".

٨٧- هو محمود بن أحمد بن موسى، أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي، مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين، ولي القضاء الحسبة في القاهرة، ثم صُرِفَ عن وظائفه، وعكف على التدريس والتصنيف، من كتبه: عمدة القاري في شرح البخاري، مغني الأخيار في رجال معاني الآثار، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، النيابة في شرح الهداية، وغيرها كثير، توفي سنة (٨٥٥هـ). انظر: الضوء اللامع (١٣١/١٠-١٣٥)، شذرات الذهب (٢٨٦/٧).

٨٨-عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني محمود بن أحمد(٢٠٥/٢) دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٨٩- انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٠٨/٤)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص(٣٧٧)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٨/١٢-٩).

٩٠- التحرير والتنوير لابن عاشور (٨/١٢).

٩١- انظر: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين محمد بن عبدالله(٢٨٥/٢)، تحقيق: حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، مصر- القاهرة، ط(١) ١٤٢٣هـ، وتفسير القرآن للسمعاني (٤٢٣/٢)، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي عبدالرحمن بن علي (٣٦٧/٢)، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط(١) ١٤٢٢هـ.

٩٢- أصول الحوار وآدابه، لابن حميد، ص(١٣).

٩٣- سفيان ابن عيينة ابن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي ثم المكي ثقة حافظ فقيه إمام حجة إلا أنه تغير حفظه بأخرة وكان ربما دلس لكن عن الثقات من رؤوس الطبقة الثامنة وكان أثبت الناس في عمرو ابن دينار مات في رجب سنة(٩٨)، وله (٩١) سنة. تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني (١/٢٤٥).

٩٤- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/١٧٦).

٩٥- وهب ابن منبه ابن كامل اليماني أبو عبدالله الأبناوي، ثقة من الثالثة، مات سنة بضع عشرة. تقريب التهذيب لابن حجر (٢/٥٨٥).

٩٦- المصدر السابق الموضع نفسه (١١/١٧٦).

٩٧- عبدالله بن المقفع أحد البلغاء والفصحاء، وكان من مجوس فارس، فأسلم، عاش (٣٦) سنة، وأهلك في سنة (١٤٥هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٦/٢٠٨-٢٠٩).

٩٨- الأدب الصغير والأدب الكبير، عبدالله بن المقفع، ص (١٢٩)، دار صادر ــ بيروت.

٩٩- الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وآدابه، أحمد بن سيف الدين تركستاني، ص(٣٦)، وزارة الأوقاف السعودية، الرياض – المملكة العربية السعودية.

فهرس أهم المصادر والمراجع:

١- أدب الدنيا والدين، للماوردي علي بن محمد، دار مكتبة الحياة، (د.ن) (د.م) (د.ط)، ١٩٨٦م.

٢- آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم عبدالرحمن بن محمد الرازي، تحقيق: عبدالغني عبدالخالق، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط (١) ١٤٢٤هـ.

٣- الأدب الصغير والأدب الكبير، لابن المقفع عبدالله، دار صادر للنشر، (د.م) (د.ط) (د.ت).

٤- أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، زياد العاني، دار عمار للنشر، (د.م) (د.ط) (د.ت).

٥- الاستدلال بالظواهر الكونية في الحوار القرآني (طرقه، وضوابطه، وأغراضه)، الرومي فهد بن عبدالرحمن، ضمن بحوث مؤتمر الحوار بالشارقة.

٦- أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، عبدالحليم حفني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،ط (٢) ١٩٨٥م.

٧- أصول التربية الإسلامية وأساليبها، د.عبدالرحمن النحلاوي، دار الفكر، بيروت، ط (٢٥)، ١٤٢٨هـ.

٨- أصول الحوار وآدابه، لابن حميد صالح بن عبدالله. دار المنارة، جدة، ط(١)١٤١٥هـ.

٩- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار، دار الفكر، بيروت - لبنان، (د.ط) ١٤١٥هـ.

١٠- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر أحمد العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط (١)١٤١٥هـ.

١١- إيجاز البيان عن معاني القرآن، للنيسابوري محمود بن أبى الحسن بن الحسين، تحقيق: حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط (١)١٤١٥هـ.

١٢- بحر العلوم للسمرقندي نصر بن محمد بن أحمد، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت - لبنان،(د.ط) (د.ت).

١٣- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد الحسيني، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية،(د.ط) (د.ت).

١٤- التحرير والتنوير ، لابن عاشور محمد الطاهر، الدار التونسية، تونس، (د.ط)١٩٨٤هـ.

١٥- التربية بالحوار (من أساليب التربية الإسلامية) د/عبدالرحمن النحلاوي، دار الفكر، دمشق،ط(٢) ١٤٢٣هـ.

١٦- التعريفات، الجرجاني علي بن محمد، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار

الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط (١) ١٤٠٣هـ.

١٧– تفسير القرآن للسمعاني منصور بن محمد، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض – السعودية، ط (١) ١٤١٨هـ.

١٨– تفسير القرآن الحكيم المسمى (تفسير المنار)، لمحمد رشيد بن علي رضا، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، عام ١٩٩٠م.

١٩– تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين محمد بن عبدالله، تحقيق: حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، مصر– القاهرة، ط (١) ١٤٢٣هـ.

٢٠– تفسير القرآن العظيم، لابن كثير إسماعيل بن عمر، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة،(د.م) ط (٢) ١٤٢٠هـ.

٢١– تفسير القرآن الكريم، لابن القيم محمد بن أبي بكر (مستخرج من مؤلفاته)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، دار ومكتبة الهلال ــ بيروت، ط (١) ١٤١٠هـ.

٢٢– تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي عبدالرحمن بن ناصر، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، (د.م)، ط (١) ١٤٢٠هـ.

٢٣– تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، المحقق: زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، ط (١) ١٤٢٣هـ.

٢٤– التفسير الوسيط للزحيلي وهبة بن مصطفى، دار الفكر، دمشق– سوريا، ط (١) ١٤٢٢هـ.

٢٥– جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري محمد بن جرير، المحقق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة،(د.م)، ط (١) ١٤٢٠هـ.

٢٦– الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي محمد بن أحمد، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ــ القاهرة، ط (٢) ١٣٨٤هـ.

٢٧– الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، د/يحيى زمزمي، دار المعالي، عمان–الأردن، ط (٢) ١٤٢٢هـ.

٢٨– الحوار الإسلامي المسيحي، بسام عجك، دار قتيبة، دمشق، ط(١)، ١٤٠٨هـ.

٢٩– الحوار فنياته واستراتيجياته وأساليب تعلمه، منى إبراهيم اللبودي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط (١) ١٤١٣هـ.

٣٠– الحوار في القرآن قواعده أساليبه معطياته، محمد حسين فضل الله، دار الملاك، بيروت، ط (٦) ١٤١٢هـ.

٣١- الحوار القرآني في ضوء سورة الأنعام "دراسة موضوعية"، لأحمد محمد الشرقاوي، (د.ن) (د.م) (د.ط) ١٤٢٨هـ.

٣٢- الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وآدابه، أحمد بن سيف الدين تركستاني، وزارة الأوقاف السعودية، الرياض – المملكة العربية السعودية، (د.ط) (د.ت).

٣٣- روح البيان، لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي، دار الفكر – بيروت، (د.ط) (د.ت).

٣٤- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي عبدالرحمن بن علي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط (١) ١٤٢٢هـ.

٣٥- زهرة التفاسير، لمحمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، (د.م) (د.ط) (د.ت).

٣٦- السنة النبوية رؤية تربوية، سعيد إسماعيل علي، دار الحديث، (د.م) (د.ط) (د.ت).

٣٧- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني محمود بن أحمد، دار إحياء التراث العربي بيروت،(د.ط) (ط.ت).

٣٨- في أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب، ص(٢٠)، دار الندوة العالمية، ط (٤)،١٤١٦هـ.

٣٩- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت – لبنان، ط(١٧)١٤١٢هـ.

٤٠- القصص في الحديث النبوي، للزير محمد حسن، د (بدون)، م (بدون)، ط (٣) ١٤٠٥هـ.

٤١- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام، المحقق: محمود بن التلاميد الشنقيطي، دار المعارف بيروت – لبنان

٤٢- الكشف والبيان عن تفسير القرآن ،للثعلبي أحمد بن محمد، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، مراجعة: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، ط (١) ١٤٢٢هـ.

٤٣- لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، ط (٣) ١٤١٤هـ.

٤٤- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، للسامرائي فاضل بن صالح، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان — الأردن، ط (٣) ١٤٢٣هـ.

٤٥- محاسن التأويل، للقاسمي محمد بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه، بيروت – لبنان، ط (١) ١٤١٨هـ.

٤٦- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي عبدالله بن أحمد، تحقيق: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له:

محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط (١) ١٤١٩هـ.

٤٧– مذكرة التوحيد، عبدالرزاق عفيفي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط (١) ١٤٢٠هـ.

٤٨– المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ،للفيومي أحمد بن محمد، المكتبة العلمية ــ بيروت.

٤٩– معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي الحسين بن محمد، تحقيق: محمد عبدالله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط (٤) ١٤١٧هـ.

٥٠– مفاتيح الغيب المسمى "التفسير الكبير"، للرازي محمد بن عمر بن الحسن، دار إحياء التراث العربي، بيروت — لبنان، ط (٣) ١٤٢٠هـ.

٥١– المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني الحسين بن محمد، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط: (١) ١٤١٢هـ.

٥٢– مقاييس اللغة، لابن فارس أحمد الرازي، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ.

٥٣– مناهج الجدل في القرآن الكريم، للألمعي زاهر عواض، مطابع الفرزدق، الرياض، ط (٣).

٥٤– منهج التربية الإسلامية، محمد بن قطب بن إبراهيم، دار الشروق، ط (١٦).

٥٥– النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير المبارك بن محمد الشيباني، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ.